

عالمية العربية لغة وثقافة في فجر الألفية الثالثة

بسمه أحمد صدقي الدجاني*

ملخص

يشهد تعليم اللغة العربية مرحلة مهمة مع إقبال أبناء الناطقين باللغات الأخرى عليه، مما يجعل المسؤولية كبيرة على عاتق مُعلّمي اللغة العربية، ومراكز تعليمها في البلاد العربية وخارجها. ولأن اللغة وعاء الثقافة، ولأن الأدب قلب اللغة، ولأن الأمة الإسلامية والعربية منها بخاصة تُعاني من أوضاع شديدة الاضطراب في مختلف أنحاءها، فإن نشر ثقافة الحضارة العربية الإسلامية يحتاج إلى سياسات منهجية متطورة لتواجه هذه التحديات وللتغلب على حواجز التواصل بينها وبين الآخر. وعليه، سيحاول البحث تتبّع مسيرة تعليم اللغة العربية في نماذج لمراكز محلية في بلد عربي أو أكثر، ولمراكز خارجية في بلد أجنبي أو أكثر؛ بهدف تقديم صورة واقعية تُسهم في البحث عن مخارج وحلول للوصول بالعربية لغة وثقافة للعالمية المرجوة مع بدايات القرن الحادي والعشرين.

الكلمات الدالة: تعليم اللغة العربية، الناطقين بغيرها، عالمية اللغة، ثقافة اللغة.

المقدمة

والسياسات اللغوية، ترجمة: حسن حمزة، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008). وهذا ما تحدّثت عنه الأديان السماوية كلّها؛ فقد جاء في الكتاب المقدس مرات عديدة ذكر الاختلاف البشري بتعدّد اللغات: "وظهرت لهم السنة منقسمة كأنها من نار، واستقرت على كلّ واحد منهم، وامتألاً الجميع من الرّوح المقدّس، وابتدؤوا يتكلّمون بالسنة أحرى كما أعطاهم الرّوح أن ينطقوا" (الكتاب المقدس، أعمال الرسل، الإصحاح الثاني 3-4). فقد جعل الكتاب المقدس انقسام الألسنة - أي تعدّد اللغات - وكأنه نار، وهي إشارة واضحة إلى الاختلاف وعدم الاتفاق، وقد جاء هذا في التعقيب على حادثة برج بابل وما تلاها.

كما جاءت في مُحكم التنزيل إشاراتٌ مُشابهة في الحديث عن دور اللغة، ورفع الله آدم درجات حين علّمه الأسماء كلّها. لذلك فإن دراستنا للغة الإنسانية تُقرّنا من جوهر الإنسان؛ أي القيم المميّزة للعقل والخاصة بجنس البشر كما قال تشومسكي (انظر: جاس، سوزان ولاري سلينكر، اكتساب اللغة الثانية، 1994، ترجمة محمد شرقاوي، 2003). وصحيح أن بين اللغات جميعها جوانب مشتركة من حيث أسس التكوين والوظيفة، فكأها تتألف من حروف أو رموز تُسمع وتُكتب وتُقرأ، وتُرَكَّب منها كلمات وجُمَل تُؤدّي معانٍ معينة، إلا أن لكلّ لغة خصوصيتها وطبائعها التي تُعرف بها (للمزيد انظر: الكرّمي، حسن سعيد، اللغة نشأتها وتطورها في الفكر والاستعمال، وزارة الثقافة، الأردن، 2009). ولذلك تُميّز المجتمعات ذاتها بالحفاظ على لغاتها، وبرفع قيمتها بنشرها خارج حدودها الجغرافية،

الحديث عن اللغة في المُجتمع وحالها بين اللغات ليس حديثاً أدبياً حكرّاً على المختصّين؛ ذلك أن الشأن اللغوي يضمّ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والسياسي والتربوي والأكاديمي والإعلامي والرياضي والترفيهي - فلا يُمكن فصل ما هو لغوي عمّا هو غير لغوي من حيث عدم إمكانية نزع أحد وجهي العُملّة عن الآخر - فهما مُتلازمان، وكذلك الدال والمدلول (هذا في ثنائيات سوسير أن اللغة لها وجهان دال ومدلول، وأن علاقتهما اعتباطية). وإن كانت العلاقة بينهما اعتباطية في أصل الوضع، فاللغة هي الوجه الآخر للتفكير والتواصل وبناء العلاقات والبيع والشراء والتربية والتعليم والترفيه، وهي لم تعدّ مرآة عاكسة أو وعاء بريئاً - كما زعم أفلاطون في مُحاوره "كراتيلوس" (انظر في: المختار، الحسن ولد محمد، اللغة وسيلة تفاهم أم سيطرة، في: لغتنا العربية في خطر، آراء وتوصيات قبل فوات الأوان). وليس مُمكناً الحديث عن أي شأن دون المرور بالحديث عن اللغة؛ فالدين والمقدّس والسياسة والموقف من الآخر والتوجّه والانتماء والإحساس بالحبّ أو بالكراهية "كأن تكون معه أو ضده"، كل هذا وكل ما سواه يمرّ باللغوي أولاً ثم يعود ليصبّ في شأنه الآخر، فاللغة هي منشأ الاتفاق ومبدأ الاختلاف (انظر: كالفّي، لويس جان، حرب اللغات

* مركز اللغات، الجامعة الأردنية. تاريخ استلام البحث 2015/12/3، وتاريخ قبوله 2016/1/12.

الوسيلة الغالبة للاطلاع على ثقافة الآخر والتعرف إلى هويته، والانتظار هو السبيل لوصول نتاجه إلينا، ازداد التفاعل الإيجابي لتحقيق التعارف بخوض التجارب في بيئات جديدة.

ومع تفاعل الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العقد الأخير بشكل مثير للتفكير، نتج عنها تزايد أعداد مُتعلّمي اللغات عموماً، واللغة العربية خاصةً. فمنذ أحداث الحادي عشر من أيلول عام 2001 في الولايات المتحدة الأمريكية، ووصول القوات الأجنبية إلى منطقة الوطن العربي، وما ترتب عليه من أوضاع، زاد إقبال أبناء الثقافات المختلفة - من الشرق الأقصى إلى أقصى الغرب والجنوب والشمال - على استكشاف الوجه الغامض لهم من الحضارة العربية الإسلامية، وفهم مجريات هذه الأحداث الكبيرة التي يربطها الإعلام الغربي بمؤثرات الثقافة العربية. فسعى طُلاب العلم بمختلف تخصصاتهم، وعبروا البحار والمسافات ليمضوا فترات في البلاد العربية في رحاب أهلها يتجولون ويبحثون ويقارنون. وقد أصبحت البلاد العربية في مكانة مركزية في العالم من الناحية السياسية والعسكرية والإعلامية، فتتزاخم أخبار البلاد العربية على القنوات الفضائية الشرقية منها والغربية، بل والعربية.

ويزداد اهتمام دارسي اللغة والباحثين والمؤرخين وأصحاب السياسة والفكر وأصحاب القرار العالمي من سياسيين بالمنطقة العربية وبتاريخها، وكذلك بالإسلام المعاصر وبالعقيدة الإسلامية وحضارتها.

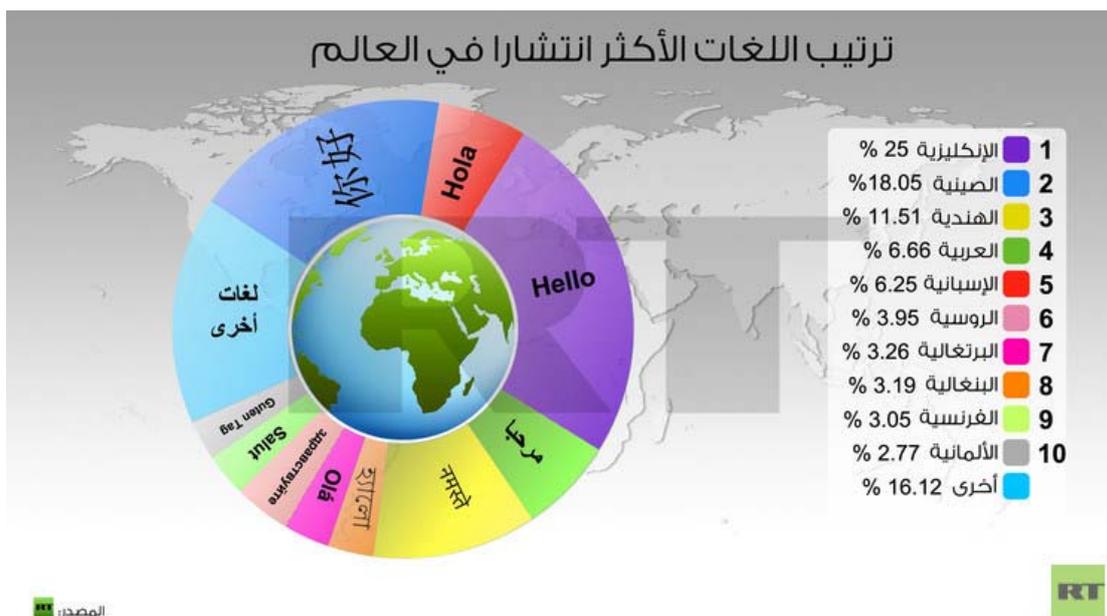
فسجّلت أحداث الإحصاءات زيادة مُتحدّثي اللغة العربية في العالم عن أربعمئة وثمانين مليون مُتحدّث (اللغة الرابعة عالمياً). واللغة العربية من اللغات المعتمدة في منظمات الأمم المتحدة ومنظمة التعاون الإسلامي والمنظمات الدولية الأخرى، ولا تكاد توجد جامعة واحدة في العالم العربي - وعدد الجامعات يصل فيه إلى أربعمئة جامعة - إلا وتخر وتُفاخر بأقسام اللغة العربية فيها. كما تشتهر برامج تعليم اللغة العربية في العديد من الدول الإسلامية كماليزيا، وأندونيسيا، والباكستان، وإيران، وبروناي، وأوروبا بما في ذلك جامعتي أوكسفورد وكمبريدج وجامعة لندن في بريطانيا، وكذلك جامعات كندا بما فيها جامعة ميغيل، بالإضافة لهارفرد وكولومبيا وكلية ميدلبيري لتعليم اللغات في ولاية فيرمونت بالولايات المتحدة الأمريكية (**).

حيث تبدل المجتمعات القوية جهودها معنوياً ومادياً لبسط سيطرة لغتها واتساع نطاق تداولها على الساحة العالمية(*) (انظر: الدجاني، أحمد صدقي، حوار ومطارات، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1986، ص102، 103). وهذا تأسيس للربط بين تآلق لغة ما وصعود حضارتها كما كان الحال مع حضارتنا العربية الإسلامية التي سطعت شمسها لألفية تالها أفرول دام لقرون أربعة وما زال سائداً. فمن الطبيعي أن يحدث بين اللغات ما يحدث بين أفراد الكائنات الحية وجماعاتها من احتكاك وصراع وسعي وراء السيطرة، ومن المتوقع أن ينتج تأثير يؤدي إلى تطوّر لغوي بما تقتضيه ظواهر الاجتماع ومقتضيات العمران. (وافي، علي عبد الواحد، اللغة والمجتمع، دار نهضة مصر، القاهرة، 1971، ص 29). فاللغة ليست ثابتة على حال واحد، بل هي منظومة تعيش في تاريخ جارف من الأحداث والعواطف، والسلم والحرب، والموت والحياة (الجبالي، محمد عزيز، تأملات في اللغو واللغة، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1980، ص 93). ولأن اللغة ظاهرة اجتماعية، تتأثر في تطورها بعوامل كثيرة؛ منها: "عوامل اجتماعية خالصة تتمثل في حضارة الأمة، ونظمها، وتقاليدها، وعقائدها، واتجاهاتها العقلية، ودرجة ثقافتها، وشؤونها الاجتماعية العامة، فكل تطوّر يحدث في ناحية من هذه النواحي يتردد صداه في أداة التعبير. لذلك تُعدّ اللغات أصدق سجل لتاريخ الشعوب، فبالوقوف على المراحل التي اجتازتها لغة ما، وفي ضوء خصائصها في كل مرحلة منها، يمكن استخلاص الأدوار التي مرّ بها أهلها في مختلف مظاهر حياتهم" (وافي، علي عبد الواحد، اللغة والمجتمع، دار نهضة مصر، القاهرة، 1971، ص 9، 10). وهذا مما يُضيف أهمية في اختيار مناهج تعليم اللغات، والتعرف إلى الذات والآخر من خلال الكلمة شفاهةً وكتابةً.

هل هناك ضرورة لتحديث الفكر في تعليم العربية لغة وثقافة؟
ثمة قضايا عديدة اليوم تشغل الفكر الإنساني، وتدور حولها المجالس، وتُعدّد من أجلها اللقاءات العلمية مثل: حوار الحضارات، وتأثير الثقافات، والعولمة، والهوية. وقد حظي "الآخر المختلف" في التراث الفكري الإسلامي باهتمام بحثي، كما رسخت صور عنه وانطباعات في كتب أدب الرحلات المتنوعة الغنية بالوصف الدقيق. وبعد أن كانت الترجمة هي

(*) تخصص بريطانيا وكذلك فرنسا وإسبانيا وألمانيا ميزانية كبيرة لتعليم لغاتهم خارج حدودهم، وما قامت به فرنسا في هذا المجال مشهود ولا سيما في القارة السوداء. والآن، بدأت الصين بنهج سياسة تشجيعية لنشر لغتها عالمياً.

(**) للمزيد عن تجارب تدريس اللغة العربية في جامعات أمريكا، انظر: عصفور، جابر، رحلة وسط التنوع العرقي والثقافي، العربي، العدد 575، وزارة الإعلام، الكويت، أكتوبر 2006، ص 76 - 81.



الشكل 1: اللغات الأكثر انتشاراً في العالم.

(إنفوجرافيك - ترتيب - اللغات - الأكثر - انتشاراً - في - العالم - <https://arabic.rt.com/photolines/786907>)

لأبنائها من جهة وللناطقين بغيرها من جهة أخرى؟ وكيف يحقق مُعلم العربية النجاح المُبتغى مع أصول بشرية متنوّعة في صفٍّ واحد؟ (انظر: الدجاني، بسمة، معلم اللغة العربية للناطقين بغيرها: القابلية والتمكّن، مجلة دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية، عمادة البحث العلمي في الجامعة الأردنية، المجلد 40، العدد 2، حزيران 2013).

إنّ الحاجة ماسّة للاستفادة من الظروف الراهنة بإبداع أساليب مبتكرة فكرياً وعملياً لتحقيق التعارف الذي أمر به الخالق بأفضل صورهِ (*)، وتقديم العربية بخصوصياتها اللغوية والثقافية على أوسع نطاق عن طريق الاستفادة من التكنولوجيا الحديثة ووسائل التواصل عن بُعد.

أين وصل فكر التحديث في تعليم اللغة العربية؟

علاقة تكاملية تربط تعليم اللغة العربية لأبنائها وتعليمها لأبناء الناطقين باللغات الأخرى، ففي العقود الأربعة الأخيرة، زاد تركيز المؤسسات التعليمية عربياً وغرباً على إصدار مناهج دراسية لتقديم اللغة العربية للمتعلمين من أبناء اللغات الأخرى الذين تضاعفت أعدادهم. ولكن ما أسس اختيار المادة التعليمية في المهارات اللغوية الأربعة (القراءة والكتابة

لقد كانت الجامعات الأوروبية عاملاً مُهمّاً في انتشار اللغة العربية منذ العصور الوسطى، واعتمادها لغةً للفلسفة والطب ومختلف العلوم والفنون، والاعتراف بها لغةً دولية للحضارة في عام 1207م. فتذكر المصادر وجود معهد في جنوب أوروبا لتعليم اللغة العربية، وتنظيم المجمع المسيحي العالمي لتعليمها في أوروبا بتخصيص مقاعد في كبريات الجامعات الغربية. ثم في القرن السابع عشر اهتمت أوروبا الشمالية والشرقية اهتماماً خاصاً بتدريس اللغة العربية ونشرها، ففي عام 1636 قررت حكومة السويد تعليم العربية في بلادها. كما بدأت روسيا تُعنى بالدراسات الشرقية والعربية خاصةً في عهد "بطرس الأكبر"، وفي عام 1769 قررت الملكة "كاترينا" فرض تعليم اللغة العربية، وأنشئ في عام 1816 قسم اللغات السامية في جامعة بتروغراد (سانت بطرسبورغ). (بن عبد الله، عبد العزيز، التعريب ومستقبل اللغة العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1975، ص 9، 10).

ومع زيادة الإقبال على تعلّم اللغة العربية من أبناء الثقافات الأخرى، وزيادة الطلب إلى مُعلمين لها في البلاد العربية وخارجها بدأ البحث عن إجابة أسئلة عديدة حول ماهية مُعلم العربية، منها: ما صفات مُعلم اللغة العربية الناجح في تقديمها للناطقين بغيرها؟ وما المتعة التي يجنيها مُعلم اللغة العربية من تدريسها للناطقين بغيرها؟ وما الفرق بين تدريس اللغة العربية

(* قال تعالى: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا". (الحجرات، الآية 13).

الأوسط. ونتيجة لهذه الموجة وبعد مواجهة صعوبات عديدة، أنشئت أول جامعة للإمبراطورية العثمانية في حوالي عام 1900. (مسعود، إحسان، العلوم والإسلام، لندن، كتب أيكون، 2009، ص 195). وقد كان تأسيس نابليون للمعهد المصري في عام 1798 خطوة استثنائية، حيث رافقه في حملته إلى مصر 167 من العلماء الذين ذهبوا إلى إبداع وصف مصر (الثمرة الأكاديمية الرئيسية لحملة الانتخابية)؛ والتي نشرت في أوروبا في عام 1809 (الزعيبي، منيف، 2011). وبحسب سراج الدين فإن المعهد المصري هو الأكاديمية الأولى التي تأسست خارج أوروبا على غرار معهد فرنسا - لتعليم اللغة الفرنسية، فضم خمس كليات، وهي ليست مرتبطة بأكاديمية العلوم المصرية التي أسسها علي مصطفى مشرفة في عام 1944 (فايز، 2005). وفي عام 1919، شهدت دمشق تحت السيطرة الفرنسية - محاولة قصيرة الأجل لإنشاء أكاديمية، هي في الواقع أكاديمية للغة العربية مع بعض العناصر العلمية التي تأسست من قبل الحكومة القومية العربية، وأطلق عليها المجمع العلمي العربي. ثم سرعان ما تحولت إلى أكاديمية للغة العربية (تمام، أحمد، مجمع اللغة العربية بدمشق، نهوض باللغة وإحياء للتراث، في ذكرى إنشائه 7 من شوال 1338 هـ، 2009).(*)

كلية ميدلبيري: تجربة من تجارب تعليم اللغة العربية عالمياً:

من المفيد ملاحظة التطورات التي طرأت على تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها منذ أن أَلَّف الأستاذ بيتر عبود كتابه الشهير "العربية المعاصرة" عام 1968، فهناك نقلة نوعية سجلت تقدماً في التوجه للتجديد في طرق تقديم المحتوى اللغوي، وتطوير تعليم مهارة القراءة، وما يترتب عليها من قدرة على الاستيعاب من خلال نجاح الأستاذة فيكتورين عبود في الاستفادة من تقنية الحاسوب في ابتكار مناهج تعليمية للمبتدئين في دراسة اللغة العربية من أبناء اللغات الأخرى في عقد السبعينات في الولايات المتحدة الأمريكية، ويعرف البرنامج بـ CAI - computer-assisted instruction، ونجاحها في تشجيع الحكومة الأمريكية على تقديم المنح المادية لاستحداث مناهج تركز على العربية المعاصرة. (**)

وكانت جامعة ييل قد بدأت محاولاتها في تعليم اللغة العربية

والمحادثة والاستماع)؟ وإلى أي مدى نجحت النماذج المتوقعة في تحقيق الهدف المباشر من تعلم العربية لغة وثقافة؟ فالفكر العربي العلمي حافلاً بنماذج سباقه في حقول الرياضيات والفيزياء والكيمياء والأحياء تستحق عرضها وتدريبها بأساليب شيقة ليفخر أبناء هذه اللغة بإنتاج أسلافهم عبر العصور، وليدرخوا قدرة لغتهم على شرح الأفكار والإبداع والانتشار مثلها مثل لغات العولمة المعاصرة. فيجب أن تشمل أساليب التدريس دافعية للابتكار العلمي باللغة الأم، وتشجيعاً على تحليل الواقع العربي ومقارنته بنماذج عالمية مختلفة.

فالتعليم؛ المدرسي والجامعي في الوطن العربي مسؤول عن إقناع الطلبة بقيمة لغتهم الأم وسهولتها؛ كيف يُنظر إلى اللغة: هل هي لغة صعبة، سهلة، جميلة، معقدة؟؟ وكيف يُنظر إلى ثقافتها؛ غنية، ممتعة، مملّة؟ وذلك بزراعة الحرص على التفكير باللغة العربية، والتأكيد على استعمالها بشكل مناسب في المجالات المختلفة، مع توضيح أهمية الجمع بينها وبين لغات عالمية أخرى في مراحل الدراسة كلها، مما يثير حماس الطلبة على ممارسة فن الترجمة، وتحفيز قدراتهم الفردية الإبداعية بالخوض فيه. وعندما ينشأ الطلبة على ثقة بقدرة لغتهم الأم، يسهل أمر تطويرها عليهم، ومواكبتها لمفردات العصر. وإن اللغة التركية واللغة العبرية مثالان قريبان لما تفعله قوة السياسة في فرض القناعة بقدرة اللغة وإن كانت حديثة بنشيت هويتها في المجتمع الهدف.

فجر اللغة العربية الجديد محلياً:

تمثل كلية الألسن ورسالتها الثقافية المعرفية نموذجاً للاطلاع على ثقافة الآخرين والتواصل معهم. وقد قال الشيخ رفاع الطهطاوي مؤسس كلية الألسن عام 1835م: "دراسة العلم في حد ذاتها أفضل ما يشتغل به الإنسان وأحلى ما يصرف فيه أوقات حياته، وبالتمكن من الفنون الأدبية يقتدر الإنسان على التعبير عما في الضمير بأحسن عبارة وأوضح إشارة". ثم أدى تأثير الأفغاني ومحمد عبده إلى ظهور العديد من العلماء البارزين، بما في ذلك علي مصطفى مشرفة، عالم الفيزياء المصري (1898 - 1950) الذي أصبح زميلاً في الجمعية الملكية (البريطانية) في عام 1921 - عندما فاز اينشتاين بجائزة نوبل (ضاهر، محمد كامل، علي مصطفى مشرفة أحد عباقرة العلم في القرن العشرين، مجلة العربي، العدد 598، 1 سبتمبر 2008). كما كان التعليم وسيلة لتعزيز تواصل الدولة العثمانية مع الغرب، فبحلول عام 1900 كانت الدولة العثمانية قد سمحت لنحو 700 مؤسسة تبشيرية ببناء مدارس وجامعات في الأراضي العثمانية بما فيها منطقة الشرق

(*) <http://www.islamonline.net/Arabic/history/1422/12/article22.shtml>

(**) في 1981 قدم الصندوق الوطني للعلوم الإنسانية في الولايات المتحدة الأمريكية للأستاذة فيكتورين عبود منحة بمقدار 243,957 دولار أمريكي لابتكار مناهج للقراءة والاستيعاب للمستوى المتوسط.

العربية لغة وثقافة، حيث يُهيئ البرنامج من خلال منهجه ومُدرسيه وإدارته، جواً مناسباً للانغماس في اللغة العربية بفرعها الفصيحة وعامياتها. وبالاستفادة مما تمت تجربته من مناهج ومواد مختارة، وأساليب تدريسية، وطرائق تُعلّم خلال العقود الثلاثة فيه، تحقق الهدف في برنامج الكلية الصيفي بإحاطة الملتحقين بالبرنامج الداخلي (في برنامج ميدلبيري الصيفي) بيئة عربية تُساعدهم في استيعاب اللغة، وما تمثّله من عادات وتقاليد وجو عام، مع أهمية ذلك التعهد الذي يوقع عليه كل من يلتحق بالبرنامج، وينصّ على الالتزام التام بالتحديث باللغة العربية طيلة الوقت، وتجنّب التعامل بأي لغة سواها خلال شهرين كاملين هما مدة البرنامج الصيفي الداخلي. فمع سيادة هذا النظام اللغوي الصارم، يقضي المتعلّم نهاره من بدايته بإفطاره مع أساتذته وزملائه، ثم أربع ساعات صفية لتعلّم العربية الفصيحة، يتبعها تبادل أحاديث على موائد الغداء، ثم ساعة ونصف للهجات المتنوعة التي يختار الطالب من بينها لهجة ينخرط في تعلّمها، ثم ساعتين للواجبات اليومية، تلحقها جلسات مشتركة لتناول العشاء، ويختم يومه بمراجعة أساتذته فيما واجهه من صعوبات في الاستيعاب، ولممارسة مهاراته اللغوية. هذا بالإضافة إلى البرامج الترفيهية التي يشاهدها المتعلم ويستمتع إليها، ويشارك في أدائها باللغة العربية؛ مثل مشاهدة الأفلام العربية، وسماع الأغاني، والرقص الفولكلوري، وطبخ الوجبات الشعبية، وقراءة القرآن، وتعلّم فن الخط العربي، وأداء أدوار تمثيلية. وبالمجمل فإن تميّز البرنامج يقوم على تطوير تقديم المادة الدراسية بما يجعلها مفيدة وعملية ومستخدمة خارج قاعة الدرس، وهو العنصر الأهم لإقبال المتعلمين.

من الفئات المستهدفة في الإقبال على ثقافة اللغة العربية؟

الدبلوماسيون الأجانب وتعلّم اللغة العربية وثقافتها في مركز اللغات بالجامعة الأردنية؛ نموذج للدراسة: لقد تبين بعد التجربة أن تعليم العربية لأغراض سياسية ودبلوماسية فيه الكثير من الفائدة الدراسية للمعلّم والدارس مع ما فيه من تبادل ثقافات، وإجراء حوارات، ومناقشات فكرية عميقة. كما أنه مجال جيد لنشر الثقافة العربية بشكل أوسع، وهو ما نحتاج إليه في الوقت الحاضر لإيصال الحقائق التاريخية للعاملين في المجال السياسي والدبلوماسي، ولمواجهة القوى الإعلامية. لذلك يجب على المختصين في تعليم اللغة العربية في الوطن العربي الاهتمام بهذا المحور وبذل مجهودات أكبر في ترسيخ هذا المجال الدراسي وتعزيزه بكل ما يلزمه من مراجع ومناهج حديثة متطورة. هذا بجانب أهمية اختيار القائمين على تدريس اللغة

في الولايات المتحدة الأمريكية منذ عام 1841، إلا أن صعوبة تلقّي هذه اللغة المختلفة بجنورها وأساسها عن اللغات اللاتينية شكّل حاجزاً أمام إقبال الطلاب وتمكّنهم منها. وفي 1958 صنّف قانون الدفاع الوطني الأمريكي اللغة العربية كلغة صعبة ووضعها في مركز اهتمامه بإنشاء مركز الدفاع الوطني للغات ومراكز لتعليم اللغات في الجامعات الأمريكية. ونتيجة لفعالية تطوير الأستاذة فيكتورين لبرنامج (ARWRI) (Arabic Writing) زادت نسبة تسجيل الطلاب في الكليات الأمريكية الراغبين بدراسة اللغة العربية خلال الأعوام 1974 و1977 بنسبة الثلث حسب رابطة اللغات المعاصرة (Barbara Paulsen) <https://www.saudiaramcoworld.com/issue/198304/arabic.and.arwri.htm>. وقد تشجع الكثيرون بعد أن أثبتت التجربة نجاحها بتمكين المتعلّم من قراءة الكلمة وكتابتها (دون التركيز على تحصيل معناها) بعد ست ساعات دراسية مع برنامج الحاسوب.

وفي عام 1980 أكملت الأستاذة فيكتورين وزملاؤها تطوير برنامج ثانٍ مُتمّم لتقديم العربية المعاصرة للمستوى الأساسي المبتدئ، والتركيز على مهارة القراءة من خلال كتاب يضم فقرات تشجّع المتعلّم على قراءتها، والوصول بمخزونه اللغوي إلى ما بين ثمانمئة وألف كلمة يضمها الكتاب في مجمله. ثم عملوا على الكتاب الثالث لتقديم ألفين وخمسمائة كلمة لمتعلّم العربية المعاصرة في المستوى المتوسط، وبتشجيع من الصندوق القومي الأمريكي للعلوم الإنسانية بمنحهم تمويل مقداره 243,957 دولار أمريكي لإنجاز برنامج قراءة واستيعاب باستخدام تكنولوجيا الحاسوب عام 1981.

ثم في عام 1982 تأسس برنامج تعليم اللغة العربية في كلية ميدلبيري للغات في ولاية فيرمونت الأمريكية بإشراف الأستاذ بيتر عبود، وقد أصبح هذا البرنامج من أهم البرامج التي تُعلّم اللغة العربية للناطقين بغيرها (<http://www.ahram.org.eg/NewsQ/407044.aspx#VYXjEIVO5AU>). بكل المستويات المطلوبة ابتداءً من المستوى الأول مع دراسة الحروف الأبجدية وصولاً للمستوى المتقدم مع تمكّن في المهارات اللغوية الأربع. ونهض البرنامج قبل ثلاثة أعوام بمنح درجة الماجستير في اللغة العربية وفي آدابها، والعمل حالياً على تقديم شهادة الدكتوراة فيها.

إن تعلّم اللغة الهدف يتحقّق بشكل فعّال بممارستها في بيئتها مع أبنائها، وإيقانها ثقافياً بجانب الإمام بمعجمها وبقواعدها. لذلك برزت فكرة الانغماس في بيئة شبيهة بالبيئة الأصلية، وقد تبنّتها كلية ميدلبيري للغات. فيمثل برنامج تعليم اللغة العربية فيها تجسّداً لأهمية تحديث الفكر في تعليم

ويهتم هذا الدارس كذلك بالقضايا الاجتماعية والتعرف إلى خصائص البيئة الجديدة التي سيستقر فيها. فيجب أن يتعلم المحاور الاجتماعية البارزة في كل بلد، ومناقشتها من وجهات نظر مختلفة. مثال: دور الدين في المجتمع: الإسلام دين تسامح، غالبية المواطنين يتبنون الإسلام المنفتح الذي يمنح المرأة حقوقاً متميزة، حق الانتخاب والتعلم، وحق قيادة السيارات والتملك، ونظرة المسلمين للديانات السماوية.

وهكذا يضع المعلم الهدف أمامه واضحاً وهو تمكين الدبلوماسي الأجنبي من استخدام مهاراته اللغوية الأربع بشكل يستطيع من خلاله إقناع من أمامه بأفكاره.

ولأن للإعلام دوره الكبير في مجريات الأمور؛ فإن مشاهدة برامج التلفزيون، والاستماع للإذاعة، وقراءة الصحافة من الأساسيات المنهجية التي يسعى المتعلم لوصول درجة من الكفاءة في مهارات اللغة الأربعة. وتدريب القواعد يجب أن ينبع من رغبة المتعلم بالتواصل الفعال، فتقدم وظيفياً كجزء من مهارة التحدث والتعبير. فالطالب الذي يتمكن من مناقشة موضوعات مختلفة مع الوقوع في أخطاء نحوية قليلة ربما يستفيد بالتكرار والتشجيع على ممارسة اللغة الهدف.

كيف يُمكن الاستفادة من الخصوصية الثقافية للغة العربية؟

يتحدث كثيرون عن تواصل الحضارات وأهمية ذلك في تجسير الفجوات السياسية والاقتصادية والفكرية والاجتماعية بين الدول، ونحن في حضارتنا العربية الإسلامية لدينا أمثلة تستحق الدراسة في هذا السياق، فمنذ أن بزغ فجر الإسلام الأول في غرب الجزيرة العربية عام 610 ميلادي تقريباً، حتى بدأت مجموعة من التفاعلات بين حضارة عربية متجدرة ومرتسخة في غرب الجزيرة العربية، وحضارات عريقة في شمال الجزيرة العربية متمثلة بالحضارة الرومانية، وفي شمال شرق الجزيرة العربية متمثلة بالحضارة الفارسية، مع الإشارة بطبيعة الحال إلى تفاعل أهل الحجاز مع أبناء جلدتهم في منطقة العراق حتى قبل الإسلام، ومولاتهم لأبناء جلدتهم في معركة ذي قار الشهيرة.

أما بعد انبلاج فجر الإسلام في الجزيرة، وفي غضون عقود قليلة تواصلت الحضارة العربية مع الحضارة الفارسية، بل وانتصرت عليها في معركة القادسية الشهيرة، وكانت قبل ذلك هذه الحضارة الناشئة قد انتصرت على الروم في اليرموك. وما إن استقرت الدولة الأموية في دمشق على يد عبد الملك بن مروان، حتى أدرك بحنكته السياسية أنه ليس بالإمكان إدارة شؤون الدولة دون التعاون مع أبنائها من غير المسلمين، فاستعان بمن استعان من المترجمين الذين يتقنون لغات أخرى

العربية لأغراض سياسية في المؤسسات المعنية. فإن دبلوماسية المعلم هي إحدى أبرز الصفات التي يجب أن يتحلى بها عند تدريسه اللغة العربية للدبلوماسيين الأجانب. فيجب على المدرس التذكر دائماً أن الهدف الأساسي هو جذب المتعلم للغة العربية وتحقيق المكسب اللغوي والفائدة الكبيرة المرجوة منه.

يحتاج الدبلوماسي إلى مناقشة العديد من القضايا بجانب الموضوعات اليومية البسيطة. فممارسة اللغة المحكية مفيد للتسوق واستخدام وسائل المواصلات والتعارف الاجتماعي السريع، إلا أن التركيز الأكبر على المفردات يجب أن يكون حول ما يتعلق بالمحاور الآتية: (للمزيد انظر: الدجاني، بسمه، تجربة مركز اللغات في الجامعة الأردنية في تعليم اللغة العربية لأغراض خاصة: سياسية ودبلوماسية، المجلة العربية للدراسات اللغوية، العدد 21، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، يونيو 2003).

- السياسة الداخلية: الانتخابات، الأحزاب، برامج المرشحين.

- الاقتصاد القومي: التطور الاقتصادي، الميزانية، البطالة، التضخم الاقتصادي.

- التجارة: الاستيراد، التصدير، العجز والفائض في الميزانية، المعوقات التجارية.

- المعونات الخارجية: المنح، القروض، المساعدات الطارئة خلال الكوارث.

- حقوق الإنسان: سجناء الرأي، التعذيب، الاضطهاد، تقييد الحريات، اللاجئون.

- الحروب والصراعات: الحروب الداخلية والخارجية، الاضطرابات المحلية، الحركات الانفصالية.

- نزع الأسلحة: التحكم في أسلحة الدمار الشامل، الألغام، التسلح الخفيف.

- النظام العالمي: المنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية، قرارات مجلس الأمن.

- قضايا البيئة: تغير مظاهر الطقس، انخفاض طبقة الأوزون.

- اللغة الرسمية المناسبة: مخاطبة الجمهور، التعارف وتقديم الأشخاص، تبادل التهاني والتعازي.

وهكذا يطلب الدبلوماسي التركيز على جوانب بعينها في دراسته للغة العربية، وخاصة المحاور السياسية التي سيتخصص بها في وظيفته داخل الوطن العربي أو خارجه؛ كالقضية الفلسطينية والسلام في الشرق الأوسط أو القضية السودانية أو العراقية، وغيرها من الظروف الداخلية الخاصة للدولة العربية التي سيستلم موقعه فيها كاليمين أو لبنان...

خلال تأملاته الخاصة في الحياة وتجاربه الشخصية، ويستخلص الحكم والمواعظ والنصائح لطرد الهم وتحقيق السعادة النفسية الروحية، وبالمحصلة يقتنع الدارس بثقافة المؤلف الواسعة المبنية على استيعابه الشامل لثقافات متنوعة كالفارسية واليونانية والإغريقية، ويتجسد أمامه دور الترجمة المهم في الإنتاج الفكري العالمي.

* وتتجلى الخصوصية الثقافية للغة العربية بعرض إنجاز شخصيات مثل الجغرافي الإدريسي (ت561هـ/ 1166م) والقراءة عن كتابه "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق". فالرغبة بالمعرفة ترافقها المتعة الدراسية من خلال الاطلاع على دور الإدريسي الريادي في رسم خرائط للكرة الأرضية، وتلك الخرائط أسست لما تم رسمه بعدها في عصر النهضة الأوروبية. وكذلك مع شخصية الرحالة ابن بطوطة (703 - 770 هـ/ 1304 - 1378م) وكتاب رحلته "تحفة النظائر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، حيث تتمثل للطلاب صوراً حيوية من أدب الرحلات، يتلمسون من خلالها أهمية الرحلة كمصدر لتاريخ العلاقات الدولية، وقدرة الشخص على الانطلاق بعيداً، والتأقلم مع البيئات المختلفة، والتعايش في أجواء ثقافية متنوعة، والتعلم من الآخر وعنه، ومن ثم أهمية تسجيل الملاحظات. وقد يحلو للشباب مقارنة تلك الرحلة ونتائجها برحلات عصر العولمة من وحي تجاربهم الذاتية وقراءاتهم. خاصة أن الظروف المعاصرة مهيأة بشكل أكبر أمام الشباب ذكوراً وإناثاً للتجوال والسفر بين القارات بهدف الاستكشاف والتعلم. كما أن الأوضاع الاقتصادية تحث على التنقل والبحث عن فرص أفضل في أرض الله الواسعة. مما يجعل عقلية أبناء هذا الجيل تنفتح أمام تعلم اللغات، وتتهيأ للاستفادة منها ومن خلالها.

لذلك يتوجب الحراك البحثي في اللغة العربية وآدابها:

الجمع بين تقديم المادة اللغوية والثقافة العربية الإسلامية هدف رئيسي في المادة الدراسية، فدارس اللغة العربية من غير أبنائها لديه الرغبة في التعرف إلى مظاهر الحياة العامة التي تعبر عنها هذه اللغة، فاللغة وعاء الفكر، وليس فقط دراسة الأصوات والمهارات الأربع، فهو مقبل على الاطلاع على عالم الثقافة العربية والإسلامية الواسع؛ سواء أكان دارساً لها في عقر دارها أم في الخارج.

ومن عوامل تطور اللغة تأثرها بلغات أخرى بحكم تفاعل أبنائها الإنساني مع أبناء المجتمعات الأخرى، ونتيجة التواصل العملي بينهم. فيبرز دور العوامل الأدبية في تطوير اللغة، وتشمل جميع ما تجود به قرائح الناطقين باللغة، وما تبذله معاهد التعليم والمجامع اللغوية من أجل حمايتها والارتقاء بها

غير العربية. وكان الأمير خالد بن يزيد قد تواصل مع بعض رهبان الإسكندرية لترجمة بعض المخطوطات العلمية. وبهذا رسخ عبد الملك نهجاً يتمثل بالتواصل مع أبناء الحضارات الأخرى، وتمكين اللغة العربية من التفاعل مع اللغات الأخرى. ولعل نموذجاً آخر يُظهر تواصل الحضارات، هو ما انتقل من تقاليد علمية إلى الحضارة العربية من مفاهيم علمية ومؤسسية، مُمثلة ببيت الحكمة العباسي الذي تأثر تأسيسه شكلاً ومضموناً بأكاديمية نيسابور الشهيرة. فيمكن الاستفادة من هذه الخصوصية الثقافية العربية بتقديم نماذج نابعة من الحضارة العربية الإسلامية كنموذج للتواصل في اللغة والأدب بهدف التعمق في دراسة اللغة العربية وآدابها، ليشعر الطالب - سواء أكان عربياً أم أجنبياً- بتحدٍ إيجابي خلال قراءته لأعمال أصيلة من قرون بعيدة، تؤكد له استمرارية هذه اللغة التي يدرسها بشكلها المعاصر بما كُتب بها قبل ألف سنة، وتثبت لديه قيمتها التاريخية، وتزيده اقتراباً من إنتاجها الفكري العام.

* مثال: تدريس مادة التفاعل العربي الأندلسي، وعرض مختارات من الإنجازات الفكرية المتنوعة خلال القرون الثمانية للعهد الإسلامي في شبه جزيرة إيبيريا، يُحقق أهدافاً عديدة؛ أبرزها:

- الاطلاع على أشهر كُتب التراث الموسوعية العربية، وقراءة تحليلية لنماذج منها.
- التعرف إلى شخصيات مؤثرة عالمياً، مثل الفيلسوف ابن رشد، والفقهاء ابن حزم، والموسيقي زرياب.
- التعمق في النظرة إلى المجتمع الأندلسي في العهد الإسلامي من خلال قراءات نقدية عربية وغربية.
- متابعة الرؤية المعاصرة لذكرى ذلك العهد، وتحليل الرأي السائد عن دور الأندلس كجسر لنشر المعرفة والعلوم في أوروبا.

* بقراءة في فصول من كتاب "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" تأليف أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني الأندلسي (450-542 هـ/ 1059 - 1147م)، يدرس الطالب جوانب تاريخية وأدبية واجتماعية تتضح فيها ملامح المجتمع الإسلامي خلال العهد الأندلسي، وتتمثل له ظواهر من الأدب المقارن بنماذج من أعمال إبداعية لكُتاب من الأندلس وآخرين من المشرق العربي ومن الشرق الأقصى، كما يكتشف البُعد التاريخي لمظاهر حديثة مثل حقوق الملكية الفكرية التي ناقشها مؤلف الذخيرة في عرضه لإبداعات من كتب عنهم وقدم لهم.

* ثم بالتعرف إلى شخصية فكرية بارزة كابن حزم الأندلسي الفقيه الأديب - مثلاً- من خلال ما كتبه في "الأخلاق والسير في مداواة النفوس"؛ حيث يتناول المعاملات بين الناس من

الأحداث التاريخية للدولة الأموية والعباسية ومقارنتها بأحداث على مستوى العالم في فترات زمنية أخرى، والاستماع لأبيات مختارة للمنتبى وأبي العلاء المعري، والبحث في أسباب التقدم العلمي والثقافي خلال العهد العربي الأندلسي، وتتبع دور الأدباء الفكري في التواصل الثقافي بين الأمم. فالهدف الرئيسي في التدريس هو التفاعل الثقافي، والوصول من خلال الكلمة إلى بناء جسور تواصل إنساني. وكذا مناقشة كتابات أبرز مفكري عصر العولمة، ودور المستشرقين مع تحليل وجهتي النظر، مثل إدوارد سعيد في كتابه "الاستشراق" الذي فعل فعله في الرأي العام الأمريكي، وصمويل هنتنغتون وكتابه "صدام الحضارات" الذي نعيش بعض ظواهره، وتحليل مصطلح "الحضارة".

3- مطارحات في الفكر والثقافة والأدب

تقديم لمحات من أهم القضايا الفكرية والأدبية والثقافية في العالم العربي بحيث ترصد الظاهرة، وتدرسها بين المفكرين والنقاد والأدباء العرب المحدثين، وتقني أثرها عند العرب القدماء. وتحاول أن تتناول أبعادها في الفكر الغربي، فتأتي بذلك على قضايا التأثير والتأثير. وتوجيه النقاش من خلال مناهج الدرس الأدبي والنقدي عموماً في شقيه القديم والحديث، وتقديم مداولة عميقة وواعية للقضايا المطروحة، ومحاولة تأصيلها، والنظر في خصوصياتها، وربط كل منها في سياقاتها، وظروف نشأتها، ومحاولة البحث الدائم عن الأشباه والنظائر في التراث النقدي والفكري والثقافي والأدبي في العالمين العربي والغربي.

وقراءة نماذج من الأدب الساهر الذي يعكس الواقع ويساعد في تشكيل الوعي الاجتماعي، في شكل مقالات، وفي شكل قصص قصيرة للأديب زكريا تامر. ومن خلال القاصة سلوى بكر يلتفت الطلاب لأهمية إدراج اللهجة العامية في العمل الإبداعي، ونقلها لصور حيوية وواقعية.

التحديات المعاصرة التي تواجهها اللغة العربية:

* تفاعل اللغة العربية الفصيحة، وتطورها سلباً وإيجاباً مع تسونامي الحداثة وأدوات التواصل (للمزيد انظر: الفهري، عبد القادر الفاسي، السياسة اللغوية في البلاد العربية، بحثاً عن بيئة طبيعية، عادلة، ديمقراطية، وناجعة، دار الكتاب الجديدة المتحدة، أيلول، 2013).

* ظهور العريبي الحديثة، وإدراك مستقبلها: فالشباب بحماسة المعهودة هم الذين تغدوا على ثمار جهود آبائهم، وتشرّبوا حكايات زمن جيل أجدادهم، فتفاعلوا، وأنتجوا مستغلين ما بين أيديهم من الوسائل للتعبير عن أنفسهم، أنفسهم تلك

(وافي، علي عبد الواحد، اللغة والمجتمع، دار نهضة مصر، القاهرة، 1971، ص 37).

الإنتاج الأدبي الروائي والشعري مجال بحث وتحليل واسع ينبض بإيقاع الحياة، ويصور مختلف زوايا المجتمع. ولذلك تحتاج اللغة العربية إلى تغيير جذري في طرق تعليمها لأبنائها أولاً وللناطقين بغيرها ثانياً، وتحتاج للنهوض بمنهجياتها وتقديم المحتوى الخلاق الجاذب الموكب للتطور السريع الذي يشهده العالم. ومن الطرافة أن كُتِبَ التراث حافلةً بنماذج مفيدة تُحقّق الغرض، ولكن لا يبحث أبنائها فيها، ويغفلون عن قيمتها اللغوية والفكرية والعلمية بسبب قلة الدراية في الاختيار والتقديم (ابن خلدون: "حصول ملكة اللسان العربي إنما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب حتى يرتسم في خياله المنوال". المقدمة، ص 561). ولذلك فإنه من المفيد تقديم ملامح لبعض أبرز مراجع الأدب العربي، سواء في الرواية أو الشعر أو النقد، مما يتيح للدارس المقارنة بين ما يُميّز الكتابة العربية وما يقابلها في الأدب الإنجليزي أو الفرنسي أو غيره. ويمكن أن يتم ذلك من خلال تقديم نماذج لأعمال أعلام الأدب العربي للتعريف بهم وبمجالات إبداعهم، وأبرز إنتاجهم.

مثال: تقديم ومضات من أدب اللغة العربية وثقافتها، ليتعرف الطلاب بأدباء عرب وكتاب تميزوا بإبداعهم في أقطار مختلفة، مع قلة ما تُرجم لهم وتُشر في الخارج عنهم، ومناقشة المضمون الفكري للغة العمل الإبداعي المستخدمة، والبحث في مدى انعكاس ثقافة المجتمع على العمل الإبداعي، والوصول إلى أهمية دور الأدب في التفاعل بين أبناء الثقافات المتنوعة.

1- أدب السيرة: التركيز على فن أدب السيرة بهدف تقديم صور واقعية من خلال اعترافات ذاتية، تُسجّل مراحل تاريخية واجتماعية وسياسية وعلمية يُفيد الاطلاع عليها في تكوين صورة شاملة للوطن العربي في حقب زمنية مؤثرة. فيتعرّف الطلبة إلى حياة أساتذة تركوا بصماتهم في عالم الأدب العربي مثل إحسان عباس في "غربة الراعي"، ومن ثم يتعرفون إليه ناقداً أدبياً من ناحية، ومهاجراً فلسطينياً من ناحية أخرى. وميخائيل نعيمة في "سبعون"، ومن ثم يتعرفون إليه كمفكر وفيلسوف ورائد من رواد أدب المهجر. وعائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ في "على الجسر" ودورها الريادي علمياً وثقافياً، وهي ثاني امرأة تكتب في جريدة الأهرام المصرية بعد مي زيادة، وأول امرأة تُحاضر في الأزهر الشريف، وكيف افتتحت شخصياً كليات الآداب في بعض البلاد العربية.

2- الدراسات المقارنة: من خلال التفاعل وتبادل المعلومات ومعرفة جوانب جديدة من ثقافة الآخر والتخصّصات المتنوعة بين الطلاب وخلفياتهم المختلفة، ومناقشة تفاصيل أهم

الكلمات وتركيب الجملة بل تشمل إلى جانب ذلك - بل وفوق ذلك - المضمون الحضاري الذي تعبر عنه اللغة العربية بكل ما لديها من ثروة وفعالية تعبيرية تجمعت لدى أبنائها، ورسخت فيهم من خلال عبقرية الزمان والمكان (بدوي، السعيد محمد وفتحي علي يونس، الكتاب الأساسي في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، ط2، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، جامعة الدول العربية، مصر، 1988، ج1، ص د). وهو أمر مهم للغاية إذ؛ "ليس ثمة فعل كلام (speech act) فردي، بل إنه دائماً اجتماعي، ولو كان المخاطب يوجد دائماً في مخيلة المتكلم. وبالتأكيد، فإن أي كلمة تنطقها تولد بتفاعل مع جمهور نتخله داخل أذهاننا، قيل أن يوجد أي جمهور حقيقي يسمعه أو يقرأها على الإطلاق" (جوزيف، جون، اللغة والهوية: قومية - إثنية - دينية - تر: عبد النور خرافي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع 342 أغسطس 2007، ص79). ففاعلية الكلمات وجدوى الجمل والنصوص لا يجري اختبارها على نطاقات فردية معزولة، وإنما يجري تعريضها للجماعة اللغوية الناطقة التي يصدر عنها ما يزيد على فاعليتها وجدواها من غير ذلك. وهذا يعني أن المجتمع يفرض نفسه على اللغة والعكس صحيح بالضرورة (العمرى، فاطمة، ثقافة اللغة طريق أم هدف: مقارنة في تعليم العربية للناطقين بغيرها، مجلة دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية، عمادة البحث العلمي في الجامعة الأردنية، المجلد 39، العدد 2، 2012، ص 393 - 402). وقد أضاف الأستاذ السعيد بدوي مرجعاً أساسياً في مجال الدراسات اللغوية المرتبطة بالواقع الاجتماعي، بإصداره كتاب "مستويات العربية المعاصرة في مصر" عام 1973.

فاللغة وأمة اللغة بحاجة إلى العمل والإصلاح برغبة حقيقية وقرار سياسي صارم تحفّه الأنظمة والتعليمات التي تتكئ على نظام واضح من العقوبات الذي يعتبر كل مساس باللغوي مساساً بالقومي والوطني والديني. وهذا ليس حلاً افتراضياً بل هو الحل الواقعي الذي أثبتته تجارب الآخرين كالأترك مع اللغة التركية، والماليزيين مع المالوية، والاسرائيليين مع العبرية. بل إنه حال العرب قبلهم جميعاً مع العربية يوم أن التقوا في دار الندوة قبيل الإسلام وانتخبوا لغة قريش ليرأبوا أي صدع محتمل في الفروق اللهجية بين القبائل، فكانت لغة القرشيين لهم لغة الأدب والسياسة والحرب والدين.

خاتمة

أوجز ناصر الدين الأسد في بحثه مسائل في العربية وتعلمها، كيفية أن ندرس أساليب تعليم لغتنا: نحوها وأدبها، من

التي هي تركيبية مجتمعاتهم حيث نشأوا، وترعرعوا، وتركيبية عالمهم العالمي الموعولم. وقد رصد كتاب "الشباب ولغة العصر" (سراج، نادر، الشباب ولغة العصر دراسة لسانية اجتماعية، الدار العربية للعلوم والنشر، بيروت، 2012) توجه الشباب اللغوي برصد المقترضات في لغتهم من اللغات الأجنبية، وكيف أدى ذلك إلى حدوث تغيير في بعض أوجه اللغة العربية المستخدمة من خلال علاقتها بالمجتمع المعاصر، وأثر عملية التغريب الثقافي.

* الحاجة إلى إيجاد كتب اللغة العربية للناطقين بغيرها تعالج تدريس العربية على نحو يوائم بين الطلبة وغاياتهم المحددة، وتقدم العربية بمستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية والتركيبية للمقبلين على دراستها على نحو يجعلها ممكنة التحصيل. وبعد أن ظهرت على الساحة كتب من أجل هذا الغرض تتباين فيما بينها في منهجها وطريقة عرضها، وظهرت تبعاً لذلك الحاجة إلى دراسة تلك الكتب، وتبيان ما لها وما عليها، وتوجهاتها العامة في مناهجها وأساليب عرضها، وكيفية تقديم العربية من خلالها.

ماذا تُقدّم مراكز تعليم اللغة العربية هنا وهناك للتغيير المجتمعي؟

الهدف نصب العين هو تقديم اللغة العربية في سياقات حية، وأساليب راقية تتناسب وإقبال الطلبة من كل حذب وصوب، والاستفادة من الظرف الراهن في التعريف بالعقل العربي، والولوج إلى الآفاق الرحبة في الثقافة والفكر، والتأكيد على قيمة لغتنا الأم وقناعتنا الكاملة بمكانتها الخاصة بين لغات العالم، لأنها اللغة الوحيدة التي بقيت على حالها لآلاف السنين. فمن خلال تدريس اللغة العربية لأبناء اللغات المختلفة حول الكرة الأرضية، كان الوصول إلى العوامل الإنسانية العالمية المشتركة التي تحكم اللغات جميعها، وتيسر خُطى التفاهم والتواصل بين الياباني والإفريقي والأوروبي والآسيوي والأمريكي والاسترالي والعربي. لذلك فإن تعدد اللغات يتطلب الارتقاء من الهوية الوطنية إلى القومية فالحضارية فالإنسانية. وعلى هذه المراكز أن تقود قاطرة البحث العلمي لتساعد في الحفاظ على الخصوصية الثقافية بجانب صياغة حداثة جديدة تتلاءم مع الأصالة والمعاصرة.

من الضروري تقديم ثقافة اللغة لمتعلم اللغة من الناطقين بغيرها والتركيز عليها، لأنها من الأساسيات التي يجب تقديمها للمتعلّم. وهذا ما صرّح به مؤلفو الكتاب الأساسي الصادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بقولهم: "والأساسيات بهذا المعنى لا تقتصر - بالطبع - على الأبجدية والصوتيات وبنية

داخل هذه اللغة وثقافتها، وأن ندرس ما عند غيرنا، لا لنخضع له ونقتصر عليه، ولكن لنعرفه، ونقابله بما عندنا، ونأخذ منه القدر الذي يفيدنا، ونحتاج إليه لتطوير أساليبنا ووسائلنا التعليمية بما يناسب طبيعة لغتنا ومقومات ثقافتنا (الأسد، ناصر الدين، مسائل في العربية وتعلمها، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 1995، ص 15).

فعلى المراكز العمل على زيادة اهتمام متعلمي اللغة العربية ومُتحدثيها من غير أبنائها على تداول اللغة واستيعاب ثقافتها. وليكن المطلب الرئيسي أن يُدرك أبناء اللغة العربية مدى أهمية نشرها عالمياً، وتشجيع تعليمها وتعلمها، واضعين نصب العين حقيقة أن "اللغة مرآة ينعكس فيها ما يسير عليه الناطقون بها

في شؤونهم الاجتماعية العامة، فعقائد الأمة وتقاليدها، وما تخضع له من مبادئ في نواحي السياسة والتشريع والقضاء والأخلاق والتربية وحياة الأسرة، وميلها إلى الحرب أو جنوحها إلى السلم، وما تعتقه من نظم بالنسبة للموسيقى والنحت والرسم والتصوير والعمارة وسائر أنواع الفنون الجميلة. كل ذلك يصبغ اللغة بصبغة خاصة في جميع مظاهرها: في الأصوات والمفردات والدلالة والقواعد والأساليب " (العمرى، فاطمة، ثقافة اللغة طريق أم هدف: مقارنة في تعليم العربية لناطقين بغيرها، مجلة دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية، عمادة البحث العلمي في الجامعة الأردنية، المجلد 39، العدد 2، 2012، ص 12، 13).

والتمكّن، مجلة دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية، عمادة البحث العلمي في الجامعة الأردنية، عمان، المجلد 40، العدد 2، حزيران.

سراج، ن. (2012) الشباب ولغة العصر دراسة لسانية اجتماعية، الدار العربية للعلوم والنشر، بيروت.

ظاهر، م.، وعلي، م. (2008) أهد عباقرة العلم في القرن العشرين، مجلة العربي، العدد 598، 1 سبتمبر.

عصفور، ج. (2006) رحلة وسط التنوع العرقي والثقافي، العربي، وزارة الإعلام، الكويت، العدد 575، أكتوبر.

العمرى، ف. (2012) ثقافة اللغة طريق أم هدف: مقارنة في تعليم العربية للناطقين بغيرها، مجلة دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، عمان، المجلد 39، العدد 2.

الفهري، ع. (2013) السياسة اللغوية في البلاد العربية، بحثاً عن بيئة طبيعية، عادلة، ديمقراطية، وناجعة، دار الكتاب الجديدة المتحدة، أيلول.

كالفى، ل. (2008) حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة: حسن حمزة، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

الكرمي، ح. (2009) اللغة نشأتها وتطورها في الفكر والاستعمال، وزارة الثقافة، الأردن.

محمود، ز. (2004) تجديد الفكر العربي، مكتبة الأسرة، دار الشروق.

المختار، أ. اللغة وسيلة تفاهم أم سيطرة، في: لغتنا العربية في خطر، آراء وتوصيات قبل فوات الأوان.

مسعود، إ. (2009) العلوم والإسلام، لندن، كتب أكون.

وافي، ع. (1971) اللغة والمجتمع، دار نهضة مصر، القاهرة.

التكامل العربي سبيلاً لنهضة إنسانية، الاسكوا، الأمم المتحدة - اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، بيروت، 2014.

Fayez, M.B.E. (2005) Egyptian Academy of Sciences: An

المصادر والمراجع

- الكتاب المقدس.
- ابن خلدون، المقدمة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الرابعة.
- الأسد، ن. (1995) مسائل في العربية وتعلمها، مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
- بدوي، السعيد، وفتحي علي يونس، الكتاب الأساسي في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، ط2، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، جامعة الدول العربية، مصر، 1988، ج1، ص د.
- بن عبدالله، ع. (1975) التعريب ومستقبل اللغة العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة.
- تمام، أ. مجمع اللغة العربية بدمشق. نهوض باللغة وإحياء للتراث، في ذكرى إنشائه 7 من شوال 1338هـ.
- <http://www.islamonline.net/Arabic/history/1422/12/article22.shtml>
- جاس، س. (1994) ولاري س. (2003) اكتساب اللغة الثانية، ترجمة محمد شرقاوي.
- جون، ج. (2007) اللغة والهوية: قومية - إثنية - دينية - تر: عبد النور خرافي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 342 أغسطس.
- الحبابي، م. (1980) تأملات في اللغو واللغة، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس.
- الحلي، ص. ديوانه، دار صادر بيروت.
- الدجاني، أ. (1986) حوار ومطارات، دار المستقبل العربي، القاهرة.
- الدجاني، ب. (2003) تجربة مركز اللغات في الجامعة الأردنية في تعليم اللغة العربية لأغراض خاصة: سياسية ودبلوماسية، المجلة العربية للدراسات اللغوية، العدد 21، يونيو.
- الدجاني، ب. (2013) معلم اللغة العربية للناطقين بغيرها: القابلية

Zou'bi, Moneef (2011) Academies of Sciences and the scientific enterprise in the Islamic world and the West: A comparative study with reference to selected OIC and Western countries.

Introduction. In: NASIC (Network of Academies of Sciences in Countries of the OIC) *First General Meeting*, Islamabad, Pakistan.

Masood, Ehsan (2009) *Science and Islam*. London: Icon Books Ltd.

The Universality of Arabic Language and Culture at the Dawn of the Third Millennium

*Basma Ahmad Sedki Dajani**

ABSTRACT

Teaching Arabic Language is at an important stage as manifested by the interest shown by speakers of other languages. This renders a great responsibility on the shoulders of Arabic language teachers and education centres in Arab countries and abroad. Since language is the vessel of culture and literature is the heart of the language, and because the Arab and Islamic worlds are suffering from extreme turmoil, the deployment of the culture of the Arab-Islamic civilization needs some sophisticated policies to face these challenges and to overcome the barriers of communication with others.

Accordingly, this study tries to trace the process of teaching Arabic by studying the models of teaching at local centres in Arab countries, as well as centres of teaching languages in foreign countries in order to provide a realistic picture of the same and to contribute towards the search for solutions to elevate Arabic language and culture to the desired global with the beginnings of the twenty first century.

Keywords: Teaching Arabic Language, Non-Native Speakers, Universality of a Language, the Culture of the Language.

* The Language Center, The University of Jordan. Received on 3/12/2015 and Accepted for Publication on 12/1/2016.